العنبر المختار من وحي الأفكار

تأليف / مايكل يوسف سلوانس

بيانات الكتاب

اسم الكتاب :

العنبر المختار من وحى الأفكار

اسم الكاتب :

أ. مايكل يوسف سلوانس

تصميم الغلاف :

أ. نورهان عصام همام

مراجعة لغوية :

د. أحمد السيد عمار

* مقدمة :

إن هذا الكتيب من ثمرة فكري الخالص (١) ، حيث يعرض منهجي في البحث عن الحقيقة والوصول إليها ومن ثم التحدث عنها .
والكتاب يناقش عدة قضايا هامة ، فهو يقارن بين علوم الله وعلوم البشر ، موضحاً أن الدين روحي وغير قابل للأخطاء ، بينما العلم مادي وقابل للأخطاء.
كما يفرق بين كمال الله وكمال الإنسان ، مشيراً إلى أن كمال الله كمال مطلق وكمال الإنسان كمال نسبي .....
ثم يتطرق لعدة مواضيع متعلقة بالإنسان نفسه من حيث أحلامه وأفكاره ولحظات فنه وحبه التي تظهر من خلال موهبته وإبداعه .
ويتحدث الكتاب أيضاً عن عبقرية الإنسان وهل هي وراثية أم مكتسبة ؟
ويجاوب على السؤال الذي حير ملايين المفكرين فيما يختص بتعريف الحياة ؟
وقد ختمت كتابي هذا بباقة مختارة من أقوالي
+ وأدعو الله أن يحوز الكتيب على إعجابكم .

---

(١) ملاحظة : جاء هذا الكتيب كملحق لكتابي اللؤلؤ والماس في حوارات الناس ، حيث نلاحظ مدى تشابه الموضوعات بينهما ، فإذا كانت في كتاب اللؤلؤ عبارة عن حوارات ، إلا أنها هنا أخذت شكل مقالات تعبر عن وجهة نظري كمؤلف .

* المرأة العجوز :

بينما كنت جالسا سمعت صوت طرق على باب أفكاري ، فقلت : من الطارق ، فسمعت صوتاً يقول لي : افتح إنه أنا ، ولما فتحت البوابة رأيت أمرأة عجوزاً آتية . حقاً لقد كانت قبيحة المنظر وهذا بفعل الطبيعة والعمر والسنين ، إلا إنها كانت جميلة الأخلاق .

ابتسمت العجوز لي وقالت: أنا الفلسفة من يحبني يصير حكيما ويملك العالم . فقلت لها في استخفاف : هل سقراط وأفلاطون أو أحد عظماء الفلاسفة قد ملكوا العالم حتى أملكه أنا ..... ! ؟

فقالت لي : يكفي أنهم قد ملكوا أنفسهم ، فمالك نفسه خير من مالك مدينة .

لاحظت أن هذه العجوز تتكلم معي بحكمة إذ أن عمرها قرون عديدة ، فهي موجودة منذ القدم ، أعتقد أنها ظهرت مع ظهور الإنسان .

فسألتها عن الحقائق العظام ، فقالت لي كما قال سقراط : اعرف نفسك بنفسك . فقلت لها : لكنني أعرف نفسي جيداً ، فأجابتني قائلة : لو كنت تعرف نفسك كما تقول ، لكان بالأولي أن تعرف الحقائق العظام .

وهكذا حينما كنت غارقاً في بحر التفكير في صحراء خيالي وواحة أفكاري متعجباً من مدى حكمتها رأيتها تنصحني بأن أبحث عن الحقيقة بداخلي ، وهنا اختفت السيدة العجوز من أمامي ، وظللت أنا أبحث عن الحقيقة بمفردي .....

* الباحث عن الحقيقة :

إن الإنسان بطبيعته يبحث عن كل ما هو خفي ، يبحث عن كل ما يجهله يبحث لكي يعرف لكي يتعلم لكي يكتشف حقيقة وجود الله حقيقة وجود الكون حقيقة وجوده هو . لقد ظللت سنوات طوالاً أبحث عن هذه الحقائق العظام . وأخيراً عرفت أن الله موجود بروحه كائن بأقواله حي بأعماله ، وأن حقيقة وجود الكون ما هي إلا دليل على حقيقة وجود الله ، وما الإنسان إلا برهان على صنع الله الخالق المُبدع . وحينما سألت عن حقيقة وجودي أنا أجابني ذلك الفيلسوف الشهير ديكارت بعبارته الخالدة : " أنا أفكر إذن أنا موجود " .

* الدين والعلم :

إن الدين هو تلك الوصايا الإلهية والشرائع الروحية المكتوبة ، ومن هنا كان الدين روحياً .

بينما نجد أن العلم هو مجموعة من الحقائق تخضع للتجريب وتعطي نفس النتائج دون الارتباط بالحالة المزاجية أو الصحية ، إذ هو مادي وليس معنوياً .....

ولما كان الدين مبنياً على الروحيات ، والعلم مبني على الماديات ، كان الدين مُسلماً به إذ أنه غير قابل للأخطاء فهو موحى به من قبل الله (١) ، وأما العلم فمأخوذ به وليس مُسلماً به تسليماً حرفياً كتسليم الشرائع والأديان إذ إنه مبني دائماً على نظرية الشك واليقين ، فلولا الشك ما كان اليقين ولولا الخطأ ما كان الصواب .....

فالعلم مكتسب بخبرات من التجارب والجهود الإنسانية ، وبما إنها إنسانية فهي إذن كثيرة الأخطاء ، إذ إنها تعتمد على حواس الإنسان ، فمثلا قد تجد حواسك عاجزة أمام عدة ظواهر مختلفة مثل ظاهرة الخداع البصري ، وظاهرة السراب حيث يبدو للإنسان كأنه يوجد مياه كثيرة على الطريق وحينما يقترب إلى هذا الماء فلا يجده .

وأيضاً ظاهرة انكسار الضوء في الأجسام الشفافة ، كأن ترى مثلاً ملعقة شاي منكسرة داخل كوب زجاجي شفاف ممتلئ بالماء ، ولكنك تفاجئ بأنها سليمة تماما ومستقيمة وذلك عندما تخرجها من هذا الكوب .

وهكذا وقع الإنسان في مشكلة خداع الحواس وضعفها علي رؤية وإدراك كل ما هو موجود في هذا الكون من ظواهر طبيعية . مما فرض علي الإنسان حياة الدراسة والبحث التي يدعمها بالتجارب حتى يصل إلى نتائج يثق فيها ويجعلها بمثابة حقائق له .

---

(١) المقصود هنا بأن الدين مسلم به فطرياً كتسليم العادات والموروثات . فلا يوجد برهان حتى الآن يثبت حقيقة وجود الله أو حتى الدين ، وإنما هي محاولات لبعض الفلاسفة المحدثين فقط .

* أخطاء العلم :

لما كان العلم غير موحى به فكان له العديد من الأخطاء . فمثلا كان الحكماء وعلماء الفلك قديماً يزعمون أن الأرض هي مركز الكون وأن الشمس تدور حولها ، إلى أن جاء جاليليو شهيد العلم ونادى بأن الأرض ليست مركزاً للكون بل هي كوكب يدور حول الشمس ، وأن الشمس نجم متوسط الحجم وليس كوكباً كما يزعم هؤلاء الحكماء .

وهكذا نجد العلامة ابن النفيس في كتابه شرح تشريح قانون ابن سينا في الطب يذكر أن هناك دورة دموية واحدة في الإنسان ، بينما الطب الحديث أثبت أن هناك دورتين دمويتين في داخل جسم الإنسان هما الدورة الدموية الكبري والصغرى .

بينما نلاحظ في مجال الفيزياء أن العلماء قديماً كانوا يعتقدون بأنه لكي تتم الرؤية فينبغي على العين أن تسقط ضوءاً على الأجسام حتى تراها ، إلى أن جاء العالم ابن الهيثم وأثبت بأن العين عبارة عن جسم معتم وليس مضيئاً ، وأن الضوء هو الذي يسقط عليها فيجعلها ترى مبرهناً على ذلك بنظرية الخزانة ذات الثقب (الكاميرا حالياً) شارحاً فكرتها وأيضاً بتجربة عملية وهي إنه لو أنك جلست في غرفة مظلمة فإنك لا ترى شيئا مطلقاً .....

ولما جاء نيوتن فسر الضوء على أنه جسيمات دقيقة متناهية الصغر ، بينما العلم الحديث أثبت أن الضوء عبارة عن كم من الطاقة ينبعث على هيئة فوتونات .

وهكذا أعلن أينشتين ذلك العالم الفيزيائي الرياضي موضحاً العلاقة بين الأرض ومركز الكون من خلال معادلة قام بها ، هادماً في ذلك علم الرياضيات الكلاسيكية من حسابات نيوتن وأرشميدس وفيثاغورث قائلاً : أنه لا يجوز العمل بمثل هذه الرياضيات التقليدية القديمة لإيجاد علاقة لمركز الكون . وقد نجح أينشتين في إيجاد تلك العلاقة برياضيات ابتكرها هو حتى أبهر العالم بنظريته الشهيرة " النسبية " .

فالإنسان يبني علمه على مقدار ما يمتلكه من تقدم تكنولوجي ، فقديماً كان الإنسان ينكر وجود الفيروسات إذ إنها كائنات لم يكن يراها بالعين المجردة فكيف يعترف بها وهو لا يراها .

بينما في العلم الحديث اعترف بها وبوجودها إذ إنه يراها بواسطة جهاز الميكرسكوب .

* مكانة العلم :

وعلى الرغم من هذه الأخطاء الكثيرة للعلم التي ذكرناها أنفاً، إلا وأنني لا أقلل من أهميته ولا أقصد أن أهدمه ، إنما أردت إثبات حقيقة مؤكدة وهي أن الدين مُسلم به إذ إنه صحيح خال من الأخطاء والعيوب .(١)

وأما العلم فيكفي لنا ذلك القول بأنه : طوق للنجاة وراحة للحياة . فبالعلم تحققت سعادة الإنسان ورفاهيته . فبعدما كان قديماً يسير مسافات بعيدة سيراً على الأقدام أو الدواب حيث كان يستغرق الشهور والسنين ، هكذا نجده اليوم يسافر إلى أبعد القارات والحدود في أقل من يوم واحد وذلك بالطيران . والأخطر من ذلك أنه تغلب علي عنصري الزمان والمكان بواسطة جهاز التليفون ، وتغلب أيضا على قوانين الطبيعة وقلب الموازين وحطم المقاييس حيث جعل شتاءه صيفاً وصيفه شتاء بواسطة جهاز التكيف فلا عاد يشعر بشدة الحر في الصيف ولا بقساوة البرودة في الشتاء. اليوم أصبح الإنسان قادراً على التنبؤ بالمستقبل في بعض الأمور مثل معرفة الطقس والمناخ التي تسهم في عمليات المواني والملاحة البحرية والجوية والسفر بشكل عام .

واليوم أيضاً استطاع الإنسان أن يتنبأ بنوع الجنين قبل مولده وبسلالات الأجيال القادمة عن طريق التحليل الجيني والكشف عن (DNA) .

* الكمال النسبي والمطلق :

لماذا كل شيء في هذه الدنيا له مميزات وله عيوب ، له فضائل وله رذائل لماذا لم يحتو هذا الشيء على مميزات فقط أو عيوب فقط ، لماذا يجمع بين الاثنين بين هذا التناقض الغريب والعجيب .....

فإذا تأملنا الاختراعات التي ابتكرها الإنسان قد تجد لها مميزات وأيضاً عيوباً ، حتى الأدوية التي تعالج المريض لها آثار سلبية !!

وعلى الرغم من أن المنافسة قد أصبحت شديدة جداً في سوق التكنولوجيا الحديثة ، إلا وأننا لا نجد اختراعاً واحداً لا يخلو من العيوب .

حتى الإنسان نفسه يجمع ما بين الخير والشر !!

ومن هنا جاء القول بأن الكمال الإنساني كمال نسبي إذ إنه يقدر بالنسب ، فالكمال النسبي يختص ببني البشر فقط حيث يجاهد الإنسان في التقدم نحو الفضيلة ، فكلما اقترب منها أكثر كلما أصبح أكثر كمالاً .

---

(١) ملحوظة : الدين مسلم به عند المؤمنين بالأديان ، لكن هناك من لا يسلمون به كالملحدين وغيرهم .

والفضيلة في أبسط صورها هي بعد الإنسان عن الوقوع في الخطأ وسيره في طريق الصواب دائماً .
ولما كانت طبيعة الإنسان نفسه غير كاملة ، عجز عن أن يخترع اختراعاً كاملاً أيضاً ، فما الاختراع إلا انطباع داخلي للإنسان .....
بينما نجد أن الطبيعة الكونية هي من صنع الله ، فلذا تجدها كاملة لا تحتوى على عيب ، لأن الله سبحانه وتعالي هو الكامل الذي خلقها ، فإذا لم يكن الله كاملاً فكيف سنصل نحن لحياة الكمال ؟! .
وإذا لم يكن عادلاً فكيف نعدل نحن بين بعضنا ؟! .
لذا اتصف الله بالكمال المطلق وتمثل هذا الكمال فى كله خلقه وصنعه ، الأمر الذي جعله أبا للكمال حتى نتعلم نحن منه حياة الكمال .
ومن هنا يتضح أن الكمال المطلق هو : ذلك الكمال الذي يختص بالله سبحانه وتعالي فقط من دون غيره ، فالله من صفاته الكمال إذ هو منزه عن الوقوع في الخطأ .

*** الأحلام والأفكار :**

لما كان الإنسان بطبيعته كائناً مفكراً ، فكر أن يجعل الحلم حقيقة وهكذا صنع عجباً بالعلم ، حينما حول أسطورة البلورة السحرية إلى حقيقة التليفاز ، وحول البساط السحري إلى الطائرة . فبدون أحلام لا يستطيع أن يتقدم إنسان ، وعليه فإن أصل كل اختراع فكرة بسيطة كبرت حتي صارت حلما ، غير أن هذا الحلم كان موجوداً في المخيلة وهي المنطقة اللاواعية التي لا ترتبط بقيود ما ، وحينما أراد صاحبها إنزالها للواقع في عالم المشاهد والعناصر ، فإنه وجدها قد تصطدم بقيود الحس والمادة ، الأمر الذي جعل أمامه خيارين لا ثالث لهما ، إما أن يضحي بحلمه هذا ويدفنه بداخله ، ولذا فإن الكثير من أحلامنا يموت لهذا السبب ولا يدركها أحد ، وربما قد تتلاشي في بحر النسيان لأن صاحبها لم يعد يذكرها نظراً لعدم أهميتها . أما الخيار الثاني فهو أن يتشبث بحلمه هذا حتى يحيا فى فكره ، مما يجعله يوجه كل قدراته ومهاراته لأجل الحفاظ على هذا الحلم، فيعمل على نموه إلى أن يصير شجرة كبيرة عديمة الفساد في مخيلته ، لأنه كما أن الحق لا يموت إذا كان يوجد خلفه من يطلبه ، هكذا أيضاً الفكرة لا تموت إذا كان يوجد من يهتم بها .....
ثم ينقلها من مخيلته إلى عقله حتي تصبح أكثر نضوجاً وواقعية ، فتكون بمثابة البرج الراسخ ، عندئذ يطمئن وهو ينزلها في عالم الواقع حيث يدركها الكثيرون ، وأظن أن هذا أعظم ما يصل إليه الإنسان بعدما يصل للكمال أولاً وهو أن يرى فكرته ماثلة أمامه ، ومن هنا جاءت أهمية تلك

الفكرة وخطورتها في كونها تصير عملا يحاسب عليه الإنسان . إذا أن ما نفعله اليوم هنا سوف يتردد صداه هناك في الأبدية ، وكأن أعمالنا هذه مثل شبح يطاردنا . فلنحرص إذن على هذه الأيام التي نعيشها الآن .

* أيامنا التي نعيشها :

اليوم هو الحاضر وغداً سيصبح ماضياً وتنساه الأيام . والمستقبل يصير حاضراً واليوم .....

وهكذا تدور عجلة الحياة حتى تعود مرة أخرى إلى نقطة البداية لكي تبدأ من جديد . ولكي تدور أيامنا التي هي ذكرياتنا

وذكرياتنا هي أحلامنا

وأحلامنا هي أفكارنا وطموحاتنا

وطموحاتنا هي حياتنا

وحياتنا هي أعمالنا

وأعمالنا هي رغباتنا

ورغباتنا هي أمنياتنا

وأمنياتنا هي أنفسنا

وأنفسنا هي أنا الإنسان .

* الفكر والروح :

في زعمي أن الفكر يمكن أن يؤثر على الروح ، وأن الروح يمكن أن تؤثر في الفكر ، فلو حدث وأثرت كان الناتج فكراً مقدساً ، لأن الروح بطبيعتها مُقدسة . ولكن إذا أثر الفكر علي الروح يُحتمل أن يقلل من درجة روحانياتها . حيث إن الفكر نتاج العقل ، ومن ثم يخضع إلى الأدلة والبراهين المادية التي بالطبع تقلل من درجة روحانية الروح .

فالعلم لا يعترف بالمعجزة ، ولكن الإيمان يعترف بها ....

فالعلم إذن من نتاج العقل ، والإيمان نابع من الدين والروح . إن العامل الوحيد الذي يحكم في تلك القضية (إلى أى مدى سوف تنحاز للدين أم العلم) ، هو عامل الإرادة التي تحركها الدافعية المتولدة من الرغبة الشديدة في عمل الشيء .

*** التأمل :**

إن التأمل شيء جميل في هذه الحياة ، وفي أغلب الأحيان يكون التأمل موهبة من عند الله سبحانه وتعالي ، ولكنه يمكن أيضاً أن يكتسب بالممارسة والمجاهدة ، بينما نلاحظ أن هناك فرقاً كبيراً بين التأمل الرباني الذي يهبه الله للإنسان والتأمل المكتسب عن طريق الهواية ، فالأول تأمل نابع من القلب وفيه يتغنى الإنسان بالقول والنظر في عظمة خلق الله ، فالإنسان المتأمل يرى كل شيء جميل في الحياة فالله هو الذي خلقه ، بينما الثاني المكتسب هو تأمل نابع من العقل ، إذ هو نشاط عقلي وحركة فكرية يمكن تعلمها من خلال بعض التمارين مثل تمارين اليوجا وعلم الطاقة الحيوية .

*** الجمال :**

قد يختلف مفهوم الجمال بحسب طبيعة الشخص نفسه ، فهكذا وجد أفلاطون أن الجمال الحقيقي هو تجلي الحقيقة ووضوح رؤيتها ، بينما أنا أرى أن للجمال نوعين جمال خارجي وآخر داخلي ، فالجمال الظاهري الخارجي هو رؤية الشيء في أحسن صورة له ، أما الجمال الداخلي الخفي هو الإحساس بوجود حضرة الله داخلنا وهذا هو جمال الروح الأخلاقي . والجمال هو شيء يحبه الإنسان ويفضله ، فمن منا لا يريد أن يكون جميلاً سواء كان بحسب المظهر أو حسب الجوهر .

وإذا قلنا إن الجمال نوعان فهو إذن مرتبط بمفهومين ، بمفهوم رباني وهذا هو المفهوم الشائع ، ومفهوم إنساني أخلاقي وهو يختص بالإنسان فقط دون غيره من سائر المخلوقات الأخرى ، وهذا المفهوم الإنساني قد اهتم به سقراط أبو الفلسفة اليونانية ، كما سلك على منهجه هذا كل من أفلاطون وأرسطو تلميذيه ، ولعل السبب في اهتمام سقراط بالجمال الأخلاقي هو قدرته علي التحكم فيه وتغييره ، بينما الجمال الرباني ليس له سلطان عليه، ومن هنا جاءت أهمية دراسات علم النفس وتطور الشخصية .

*** الفن :**

هو ذلك الإحساس الداخلي والرؤية المنظورية الناتجة عن تجربة شعورية يكون الإنسان قد مر بها أو مازال يمر بها .

فالفن هو ذلك الانطباع الخاص الذي يراه الإنسان ، ويختلف في الشعور به عن الآخرين .

فأنت مثلاً عندما ترى صورة لفنان ما قد لا تعرف الكثير عنها وربما لا تعرف ماذا يقصد هذا الفنان المصور أو حتى الرسام من تلك الصورة أو اللوحة التي رسمها ، بينما إذا سألت صاحبها فقد تجده يقول لك الكثير عنها ويشرح ويفسر لك معانيها العميقة والبعيدة المدى .

بينما إذا سألت فنانين آخرين عن نفس الصورة قد تجدهم يقولون لك كلاما مختلفاً عما قاله لك صاحبها ، بل تجد أن كلا منهم يقول كلاماً مختلفاً عن غيره ... ! . وربما يظن البعض أنه تناقض ، بينما هو في حقيقة الأمر مجرد تعبيرات ووجهات نظر تختلف عن بعضها ، فلولا اختلاف الأذواق لبارت السلع ، إلا أننا لا نعتبره تناقضاً لأنهم قد يجتمعون ويتفقون في نقاط أساسية وهامة هي التي درسوها .

إذن فالفن يلزمه دراسة كما يتطلب وجود هواية وموهبة .

*** الحب :**

هو تبادل مشاعر بين طرفين ، وهو غريزة فطرية أودعها الله في الإنسان ولعل السبب في ذلك هو أن يجعله يحبه ويشعر بوجوده ، وأبرهن على كلامي هذا بأن أقدم وصية إلهية عرفناها في توراة النبي موسي وهي "حب الرب إلهك من كل فكرك ومن كل قدرتك ومن كل قلبك " . حقاً أن هذا هو أعظم حباً في كل الوجود .....

ولما كان الحب غريزة عمل الإنسان على إشباعها من خلال صور عديدة، فالأم تحب ابنها والزوجة تحب زوجها والأخوة يحبون بعضهم . والرجل يحب المرأة وأعتقد أن هذه هي أقل درجات الحب إذ كان مرتبطاً بالشهوة والرغبة ، أما إذا كان حباً بحسب الجوهر فهو حب سامِ .....

فهناك مثلاً علاقات زوجية قد تدوم وتعمر لأكثر من أربعين عاماً، خلالها تصبح المرأة عجوزاً والرجل شيخاً، ولكن الحب يظل كما هو بل وأحياناً يزداد أيضاً إذ إنه حب صادق ونبيل .

* الهواية والموهبة :

إن الهواية هي ذلك الشيء الذي يحبه الإنسان ويفضله عن سائر وباقي الأشياء الأخرى ويرغب في ممارسته .

فمثلاً إذا خيُر الإنسان بين عدة أشياء مختلفة مثل الرسم والعزف والتمثيل والتأليف وغيرها من هوايات كثيرة أخري ، فقد تجده يختار منها شيئا واحداً وهو الشيء الذي يميل إليه . ومن هذا نلاحظ أن الهواية قد تتعلق بالحالة المزاجية والنفسية للإنسان ، ومن هنا كانت الهواية لا تدوم في كثير من الأحيان لأن صاحبها لا ينميها فلم يعد متفرغاً لها .

أما الموهبة فهي تلك المنحة المجانية والعطية الإلهية من الله للإنسان ، فقد تجد الإنسان الموهوب متميزاً في شيء ما دون غيره ، فإن لعب كرة قدم مثلا كان هو المتقدم على أقرنائه ، وإذا رسم كان هو أفضل الرسامين وهكذا ....

غير أن البعض يكون لديه الموهبة ويمتلكها ، إلا أنه يدفنها بسبب عدم استخدامه لها .

* العبقرية :

هل حلمت يوماً بأن تصبح ذكياً ؟

هل تطمع في لحظة ما بأن تكون عبقرياً ؟

هل تود أن تكون متميزاً عن الآخرين في شيء ما ؟

أظن أننا جميعنا بلا استثناء نجيب بنعم عن الأسئلة الثلاثة السابقة .

ولكن هل سألنا أنفسنا كيف نحقق هذا ..... ؟

الأمر الذي دعانا لنتحدث عن موضوع العبقرية التي عجز الكثيرون عن تعريفها .

إن العبقرية هي أعلى درجات الذكاء ، إذ هي النبوغ في شيء ما . ولكن هل هي وراثية أي وليدة مع الإنسان أم إنها مكتسبة ؟ وصعبت الإجابة على هذا السؤال ، لأننا إذا قلنا إنها وراثية فهذا يخالف الكثير من قصص العلماء أمثال اينشتين وأديسون حيث ذكر عن قصة العالم المشهور توماس إديسون مخترع المصباح الكهربي ، أن ناظر المدرسة قد طرده رغم صغر سنه قائلا له : أن هذه المدرسة لا يوجد بها مكان للمتخلفين عقلياً !

من كان يظن يوماً أن ذلك المتخلف سيصبح مخترعا !

أما إذا قلنا أنها مكتسبة أيضاً فهذا معناه أن ليس هناك فروق فردية بين بني البشر ، وأننا لسنا مختلفين عن بعضنا ، وهذا حتما مخالف لنظريات ومبادئ التعلم التربوية .....

ترى ما عسى أن تكون تلك العبقرية ؟!

إن العبقرية مزيج بين الوراثة والاكتساب في نفس الوقت . إلا أننا نجد أن الجانب الوراثي لا يشترط أن يكون بنسبة عالية . فنحن نلاحظ أن هناك كثيرين من الأشخاص قد عانوا من صعوبات في التعلم ومن الأمراض النفسية والعصبية والجسمية أيضاً رغم أنهم علماء . ونستنتج من هذا أنهم لم يتمتعوا بدرجة كبيرة من الذكاء ، ولكن كيف أقول إن النسبة الوراثية في العبقرية ليست شرطاً بأن تكون عالية وأنا في بداية كلامي عرفت العبقرية بأنها أعلي درجات الذكاء !

هل يعني ذلك أن أقوالي متضاربة مع بعضها البعض ؟

كلا لم يكن كلامي متناقضاً أبداً في يوم ما ، فإنه قد توجد العديد من أنواع الذكاءات المتعددة ، وأنا لم أقصد معني الذكاء بمفهومه البحتي وهو القدرة العقلية ، وإنما قد يوجد هناك الذكاء المهني والاجتماعي ، وعندما ذكرت أن العبقرية أعلى درجات الذكاء ، قصدت بذلك الذكاء بمفهومه العام والشامل وليس بمفهومه الخاص ، إذ يصعب علينا تخصيص نوع ما ، لأن البشر بطبيعتهم مختلفون ، فمثلاً لو قلت إن العبقرية هي أعلى درجات الذكاء العقلي ، فسوف تجد ما يخالف كلامك هذا مثل قصة توماس إديسون وأينشتين وغيرهم من العلماء ، كما لو قلت إن العبقرية هي أعلي درجات الذكاء الأجتماعي فستجد حتماً عباقرة إنطوائين .

مما جعلنا نذكر الذكاء بمفهومه العام حتى ينطبق على كل العباقرة . وفي نظري أن عبقري ذلك العصر هو الذي لا يخترع اختراعاً أو يؤلف كتاباً وإنما العبقري هو ذلك الإنسان الذي يستطيع الربط بين ثلاثية الدين والعلم والفلسفة . أظن أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يصعب علينا فعله في هذه الأيام .

* تعريف الحياة :

عندما سألت عن تعريف لهذه الحياة لم أجد من أجابني بإجابة كافية .
حيث قال لي أحدهم : إن تعريف الحياة أمر اجتهادي ، فلم يذكر قط لا في كتاب ولا في موسوعة ، كما أنني لأول مرة أسمع هذا السؤال في حياتي ! وكان هذا الشخص الذي أجابني بتلك الصراحة حاصلاً على درجة علمية وهي الماجستير .
بينما قال لي آخر : إن مفهوم الحياة مفهوم شامل وكبير وعميق جداً ، ولن تجد من يستطيع أن يجاوبك ، إلا إذا خصصت وحددت شيئاً تسأل عنه في هذه الحياة .....
وكثيرون أجابوني قائلين : بصراحة لا نعرف . ولما كان البشر بطبيعتهم مختلفين ، تعددت وجهات نظرهم واختلفت أيضا ردودهم .
ومن بين هذه الردود أجاب ذلك النجار : أن الحياة عبارة عن بابين باب يدخل منه الإنسان وهو الولادة ، وباب آخر يخرج منه هو الموت . وعلى الرغم من أن هذا النجار قد جاوب ، إلا وأننا قد نجد أنه أجاب على سؤال آخر هو كيف ترى الحياة أو ما رأيك فيها ؟
وآخرون اختلط عندهم مفهوم الحياة بمفهوم البيئة ، حيث عرفوا الحياة بأنها كل ما يحيط بالإنسان من هواء وماء ونبات وحيوان إلا أن هذا المفهوم يختص فقط بالبيئة ولا يجوز تطبيقه علي الحياة إذ إنها اسمى وأفضل من ذلك بكثير ....
حقيقة إنني أتعجب من ذلك الإنسان الذي يتشبث بتلك الحياة والبقاء فيها والصراع من أجلها ومع ذلك لا يجد تعريفاً لها ..... !
قد أمتلك نظرية تقول : إن الشيء الذي لا تجيد تعريفه ، يمكنك أن تعرفه إذا أتيت بمضاده ، وعندما نطبق هذه النظرية على سؤالنا هذا ما هو تعريفك للحياة ؟ ، فإننا نأتي بمضاد لكلمة الحياة ،فمتناقض الحياة هو الموت ، وما الموت إلا انفصال الروح عن الجسد ، فكيف نعلم أن الإنسان مات إلا إذا توقف نهائياً عن الحركة ، إذن الموت بالمصطلح المبسط يعني التوقف وعكس كلمة التوقف الحركة ، فالحياة إذن هي الحركة والنشاط الدائم ، فالحياة هي الله لأن منه وبه وله كل الأشياء ، ولأن أصل الحياة خرج من عند الله .

* المستحيل :

هل يوجد مستحيل بعد ما حول الإنسان الحلم حقيقة .
أتعتقد أن الإنسان أمامه مستحيل بعدما سافر لأبعد من القمر بكثير .
أتظن أنه يوجد مستحيل بعدما زرع الإنسان المحاصيل في غير أوانها ....
ترى ما هو الشيء الذي لم يتوصل إليه الإنسان ، ما هو المستحيل الذي لا يستطيع أن يتخطاه مهما بلغ من مقدار العلم والتكنولوجيا ؟
أظن أن هذا المستحيل هو من قوانين الطبيعة الجوهرية . فعلي الرغم من أن الإنسان قد توصل لغزو الفضاء ، وزراعة الخلايا والأعضاء وإجراء عمليات للأجنة في بطون الأمهات ، وصهر الحديد وتحطيم الصخور وبناء السدود ، إلا أننا قد نجده يقف حائراً أمام قراءة مستقبله الذي يجهله ، يقف عاجزاً أمام تلك الظواهر الطبيعية من عدم قدرته على الخلق وعدم مقاومته لظاهرة الموت . تلك هي القوانين الطبيعية التي يستحيل على الإنسان أن يتخطاها في يوم ما .

* ما هو رأيك في الحياة :

البعض قال : إن الحياة جميلة ولكنهم لم يذكروا شيئاً عن هذا الجمال الذي يرونه . البعض الآخر أكد أنها جميلة إذا توافر فيها المال .
أحدهم قال : تكون جميلة إذا احتوت على محبة ، وتكون قبيحة إذا انعدمت منها .
ورجل الدين قال : إن الحياة جميلة نظراً لوجود الله ، وتكون أليمة إذ ابتعدنا عن وجوده هذا .
بينما قال البعض الآخر : إن الحياة مثل معركة وصراع ومجازفة ، والفرصة لا تأتي للإنسان إلا مرة واحدة .
آخرون قالوا : إن الحياة هي المشقة والتعب الدائم ، فلا يوجد راحة حقيقية إلا في القبر .... !
كثيرون هم من أيدوا إجابة المال ، وقليلون هم من أيدوا إجابة المحبة ، بينما آخرون لم يجيبوا بشيء مطلقاً .
وهكذا تعددت الإجابات وكثرت الردود على هذا السؤال ، وبالرغم من اختلافها إلا إننا لا نستطيع القول بأنها خطأ ، فهذه الإجابات كلها صحيحة واختلافها هذا قد يرجع لرؤية الإنسان للحياة التي يحياها ووجهة نظره فيها فالحياة بلا هدف حياة بلا معني ، وكأنها جسد بلا روح ، حيث تتحول لحياة روتينية بحتة ، كالمثل القائل : كما لقوم عادة ، والذي نقضي الليل فيه غداً نصبح عليه. فالحياة تعب ومشقة وكفاح مستمر وعلى قدر

طموحك لابد أن تتعب . واعلم أنه ليس هناك ثبات لا في الأشياء المخلوقة أو حتى المصنوعة . وإنما الثبات الحقيقي قد يوجد في الخالق .
فالكل متغير وفي حالة تطور سريع من أماكن وأشياء ، حتى الإنسان نفسه تجده يتغير في مراحل عمره ونموه من طفولة إلى شيخوخة . فالدنيا هكذا دور يمضي ودور يجيء والشمس تغرب والقمر يجئ ، وكأن حياتنا عبارة عن كتاب تطويه الأيام لكي نقلب منه كل يوم صفحة بعد قراءتها ، حتي نصل يوماً إلى نهاية ذلك الكتاب .
فكل لحظة قد تمر علينا لا نقدر أن نعوضها أو نرجعها مرة أخري ، وهكذا يتناقص عمرنا رويداً رويداً حتى يتلاشى ولا يبقى لنا سوى عملنا فقط ....
ما أكثر أيام حزننا في تلك الحياة ، وما أقل أيام فرحنا فيها وكأنها نادرة الوجود ، لعل السبب في ذلك هو أن كثيراً منا ينسون خالقهم في أوقات أفراحهم ، بينما في أيام حزنهم وضيقتهم يذكرونه ، إذ يبحثون على مُعز لهم فلا يجدون إلا خالقهم .....
اعلم يا أخي أن العدالة الإلهية هي التي تحكم هذه الدنيا لأنه (كما تدين تدان وبالكيل الذي تكيل به يكال لك أيضاً) . لذا فحاسب نفسك هنا قبل أن تحاسب هناك.

* من أقوالي المشهورة :

+ حياة بلا هدف حياة بلا معني .
+ تكلمت الفلسفة فقالت : أين الفلاسفة لكي يغيثوني من الجهل وعدم الحكمة
+ قال سقراط تكلم لكي أراك ، وأما أنا فأقول : أرني أعمالك حتى أعرفك .
فالإنسان في فلسفتي الخاصة ما هو إلا عدة مواقف ، فعندما تتعامل مع أي إنسان لا تذكر دينه أو حتي جنسه ، ولكنك تذكر شيئا واحداً هو شخصيته التي تظهر من خلال أفعاله .
+ العلم طوق للنجاة وراحة للحياة .
+ ميلاد العقل " الذكاء " سيف ماضٍ ذو حدين ، فإذا استخدم في الخير أفاد البشرية ، وإذا استخدم في الشر دمرها .
+ حينما تظهر العبقرية لا يعلم صاحبها إلى أين ستقوده .....!
+ تستطيع أن تبني لك عالماً تعيش فيه ، ويُعشعش فيك .
+ لا تستطيع أن تحيا الشيء إلا إذا كنت تعيشه .
+ الزمن بطيء جداً لمن ينتظره ، سريع جداً جداً لمن يعرف قصده .
+ ليس هناك ساعة حائط ولا هناك وقت ، وإنما هناك شيء واحد يُدعى العاطفة ، فهي التي تتحكم في وقتنا فقد تجعله يمر بسرعة البرق ، أو يمر أبطأ من السلحفاة .
+ إذا عرفت مستقبلك بطلت حيرتك .
+ الأبدية حلم جميل لا يفكر فيه الكثيرون .
+ إذا أردت أن تكون فيلسوفاً فعليك بفهم نفسك أولاً .
+ أن تكون محبوباً من الجميع ، فهذا يلزمك أن تخدم الجميع .
+ الكل منا يعتقد دائماً أنه على صواب ، لا يوجد واحد فقط يعتقد أنه خطأ .
هذا هو السبب الكامن وراء تأخرنا .
+ التفاني في العمل لا يستلزم قضاء عدد ساعات أطول ، وإنما يستلزم الإخلاص في ذلك العمل .
+ تطوير التعليم لا يتطلب أجهزة تكنولوجية حديثة ، ولكنه يتطلب عقولا راقية .
+ أن تصبح عالماً فهذا يعنى أن تكون محباً للعلم .
+ تذكر جيداً أن وقت الحساب لا ينفعك الأحباب .
+ أريد أن أفعل أشياء كثيرة في ذلك العالم ، لعلى لو فعلتها جميعها لأستغرق الأمر منى ربما مئات السنين ....!
+ لا أعتبر نفسى روائي ، وإنما مسجل فقط للأحداث . ولكن إذا أردت أن تكون روائيًا على حق ، فعليك بتنمية ملكة الخيال لديك .

+ إذا أردت النجاح فعليك بكره الفشل .
+ أحياناً لا نجد ما تقوله في بعض المواقف ، لأن اللغة قد تكون عاجزة في التعبير عن مشاعرنا .
+ سألني أحدهم عن العدالة فقلت له : نادراً ما تطبق هنا على هذه الأرض
+ الإخراج السينمائي لا يتطلب بالضرورة معدات حديثة ، وإنما يستلزم وجود عين مخرج حساسة ، واندماج واقعى داخل أحداث فيلم خيالي ، وإحساس بمدى قيمة العمل الفني .
+ نحن لا نعلم الكثير عن هذه الحياة ، فيوجد عوالم كثيرة خفية عنا ، هناك أشياء غامضة لم يجد العلم تفسيراً لها .
+ إن الحكمة لا تتطلب القراءة في الكتب كثيراً ، وإنما تحتاج التعقل في كل أمور الحياة .
+ إذا أردت أن تعذر الآخرين ، فقم بتبديل الأدوار ما بينك وبينهم ، فقط ضع نفسك مكانهم .
+ ليست الحجة أو البرهان دليلاً كافياً في عملية الإقناع ، فالموروثات غالباً ما تسود .
+ كيف أستطيع أن أرى ميتاً في حلمى وأنا حي بعد ، ربما خدعونا بهذه الكلمة ، ليس هو موت بل انتقال لحياة أخرى .
+ إن الجلوس مع عالم خير من القراءة في الكتب لمدة سته أشهر حقيقة مؤكدة ، ولكن إذا لم نقرأ قبل الجلوس معه ، فأخشى أن يكون الحوار غير مثمر .
+ إذا أردت أن تعرف مدى تفاهة ذلك العالم ، فقط جالس ميتاً ..!
+ الكثير يخافون من الموتى ، ولكن لم يفكر أحد منهم أننا سنصبح مثلهم ..!
+ الموت هو ذلك النظام الكوني الذى لولاه لطاح البشر في بعضهم أكثر من هذا .
+ البداية الصحيحة هي نصف الطريق .
+ المرأة تظل كما هي حتى لو حصلت على أعلى الشهادات ، أو أخذت أعلى المناصب .
+ نحن لا نعيش تحت سقف هذا المنزل ، بل نحيا تحت رحمة الله الواسعة .
+ قديماً قالوا : إن الصبر مفتاح الفرج ، ولكن حتى متى نحتمل ؟ ، إلى متى سنصبر ؟ أعتقد أن الصبر وحده غير كافٍ في هذه الأيام لابد من العمل مع الصبر .
+ البعض يسألني : من أين نحصل على فكرة جيدة ؟ الإجابة ببساطة هي أن الفكرة الجيدة تأتيك بغتة .

+ ليس بمعاشرة الحكماء تصير حكيماً ، ولكن بفهمك وتقديرك الجيد لعواقب الأمور .
+ عالم الموتى مليء بالألغاز والأسرار لا يعرف عنها الكثير من الأحياء شيئاً .
+ الصدق مع الآخرين يتطلب وجود عقل حكيم ، حتى لا تكون هناك عداوة بينك وبينهم .
+ أن تكون مجاملاً شيء وأن تكون منافقاً شيء آخر .
+ التودد للرؤساء في العمل ليس جيداً في كل الأحوال .
+ العلاقات بين البشر رأس مال أقوى من النقود ، هذا إذا كانوا بشراً أوفياء بطبعهم .
+ أصبح الحب في زمن المادة عملة نادرة لا يحظى بها إلا قليلون .
+ إن المعرفة في تخصصك تعنى القوة لك في مكان عملك .

الفهرس

مقدمة ٣
المرأة العجوز ٤
الباحث عن الحقيقة ٤
الدين والعلم ٥
أخطاء العلم ٦
مكانة العلم ٧
الكمال النسبي والمطلق ٧
الأحلام والأفكار ٨
أيامنا التي نعيشها ٩
الفكر والروح ٩
التأمل ١٠
الجمال ١٠
الفن ١١
الحب ١١
الهواية والموهبة ١٢
العبقرية ١٢
تعريف الحياة ١٤
المستحيل ١٥
ما هو رأيك في الحياة ١٥
من أقوالي المشهورة ١٧